العمل الاجتماعي في الإسلام تأصيلا وتطبيقا

Social work in Islam, rooted and applied

د.عبد القادر الشايط[1]

جامعة محمد الأول وجدة، المغرب

ملخص البحث: أعطى الإسلام مسألة العمل الاجتماعي أهمية بالغة لتحقيق الاجتماع والألفة بين الناس، ونبذ التفرق والاختلاف، وقد أجمع المسلمون في كل مكان وزمان على ضرورة التكافل والتضامن، ولزوم القيام بالعمل الاجتماعي المعبر عن دين الأمة ومكانتها الحضاري.

وحسْبُنا أن نجعل من دراستنا هذه مساهمة متواضعة في تجلية الوعي بأهمية الرجوع إلى الأصول والروافد الأولى لقِيمنا الأصيلة، المستلهَمة من ديننا الحنيف؛ لإشاعة ثقافة المشاركة الاجتماعية، والتجاوب مع المشاريع الاجتماعية التي رسمها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والنهوض بالمشروع الاجتماعي الإسلامي، خصوصا مع نهج بعض الدول العربية لسياسة التباعد الاجتماعي (الحجر المنزلي) للحد من انتشار جائحة كورونا، والتي تعيش ساكنتها فقرا مدقعا، بسبب ضعف الخدمات الاجتماعية مقارنة مع نظيرتها الأوروبية.

الكلمات المفتاحية: العمل، الاجتماعي، التكافل، الأمة، النظام، المعاصرة.

Abstract Islam has given the issue of social work extremely important to achieving socialization and familiarity among people, and rejecting division and difference. Muslims everywhere and time have unanimously agreed on the necessity of solidarity and solidarity, and the necessity to carry out social work that

[1]– اسم المرسل: د.عبد القادر الشايط، جامعة محمد الأول وجدة، المغرب،
البريد الالكتروني: Abdelkader_chait@hotmail.com

expresses the nation's religion and its civilized position. This research seeks to demonstrate the importance of the Islamic social system and its ability to solve the problems of contemporary social life.
Key words: Islam, social, work, system, problems

مقدمة:

يعتبر العمل الاجتماعي ركيزة أساسية في تنمية الشعوب الإنسانية، لما له من دور في بناء المجتمع ونشر التماسك والترابط الاجتماعيين، وهو ممارسة إنسانية فطرية ارتبطت ارتباطا وثيقا بكل معاني الخير والعمل الصالح عند كل المجموعات البشرية منذ الأزل، ولكنه يختلف في أقسامه وخصائصه ومقاصده من مجتمع إلى آخر ومن فترة إلى أخرى. ولعل قلة عناية طائفة كبيرة من العلماء المسلمين بالبعد الاجتماعي، واستغراقهم – في المقابل – في جوانب أخرى، كان أحد أسباب تجاهل الدور المهم الذي يمكن أن ينهض به العمل الاجتماعي في تقديم رؤية دقيقة للمشكلات الاجتماعية، وتحديد سبل علاجها.

والملاحظ أن الدول العربية نهجت سياسة جديدة في التعامل مع الشأن الاجتماع، بعد تفاقم الأوضاع الاجتماعية الناجم عن الإجراءات المشددة التي اتخذتها لمحاصرة فيروس كورونا ومنع انتشاره، وراهنت على الحراك المجتمعي، وقررت أن تدخل مع مواطنيها في شراكات اجتماعية، وتكل إليهم القيام بأعمال موازية لعمل الدولة، للتقليص من نسبة الوضع الاجتماعي المزري الذي خلفته هذه الجائحة.

ومن هنا، نجد أن من الأولويات المهمة في بحثنا هذا، هي الإكباب على العمل الاجتماعي في الإسلام بالدراسة والتحليل؛ لاستكشاف الصيغة المناسبة للتنمية الاجتماعية من المنظور الإسلامي، وإبراز أثره البارز في حل الكثير من المشاكل الاجتماعية في سائر المجالات.

دوافع اختيار موضوع البحث

تقبع وراء اختياري لموضوع هذا البحث دوافع ذاتية، وأخرى موضوعية:

الدوافع الذاتية:

- انطلقت فكرة هذا البحث " **العمل الاجتماعي في الإسلام تأصيلا وتطبيقا**" من اقتناعي الشخصي بأهمية غرس القيم الاجتماعية التكافلية، ودورها في بناء المجتمع المتضامن، الذي يستمد قوته وحضارته انطلاقا من لبناته التي أساسها الأفراد.

الأسباب الموضوعية:

التأزم الاقتصادي، والاحتقان الاجتماعي، اللذان تعيشهما غالبية دول العالم العربي والإسلامي، لاسيما بعد انتشار وباء كوفيد 19 (كورونا)، وفرض الحجر الصحي، وما يمكن أن تخلفه هذه الجائحة من انعكاسات اجتماعية خطيرة، إذا لم يتحرك المجتمع الإسلامي، بآلياته التضامنية.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

حاجة الناس في وقتنا الحاضر إلى معرفة العمل الاجتماعي في الإسلام، ودوره في ترسيخ قيم التكافل والتضامن الاجتماعي، الذي له أثره البارز في حل الكثير من المشاكل الاجتماعية في سائر المجالات، لإعادة الدور الحضاري لأمتنا الإسلامية، في ظل استيراد الدول الاسلامية المناهج الاجتماعية الغربية، والتبعية المطلقة لها.

وعلى ضوء ما سبق نطرح الاشكالية التالية:

– هل استيراد المنهج الاجتماعي الغربي، والتبعية المطلقة له، أمْلَتاهما ظروف تاريخية وحضارية سببُها عدم توفر المسلمين على منهج اجتماعي متكامل مستوحى من نصوص الشريعة الإسلامية ؟

وتتفرع عن الإشكالية الأسئلة الفرعية التالية:

– ما مفهوم العمل الاجتماعي وما حجيته من الكتاب والسنة والاجماع ؟

– هل العمل الاجتماعي محصورا في الجوانب المادية ؟

– ما هي أهم المؤسسات الإسلامية التي يمكنها تفعيل الدور التكافلي للعمل الاجتماعي؟

– ما هي أهم مقاصد العمل الاجتماعي؟

أهمية البحث وأهدافه

– يسهم أيضا في التعريف بالعمل الاجتماعي وإبراز أهميته وأدواره

ومقاصده في التصور الإسلامي.

– يقدم للمهتمين بالعمل الاجتماعي مادة دسمة، للذين يرغبون في الاطلاع على أهم مجالاته وأبرز تطبيقاته وأنواع مؤسساته، للاستفادة من كل ذلك بغية تطوير أساليب العمل الاجتماعي في الواقع الاجتماعي.

منهج البحث

يقوم منهج البحث على قاعدة التوفيق بين التوصيف والاستقراء والتحليل والمقارنة.

المطلب الأول: مفهوم العمل الاجتماعي لغة واصطلاحا

الفرع الأول: مفهوم العمل الاجتماعي

أولا: معنى العمل لغة واصطلاحا

أ– العمل لغة: القيام بمجهود ما من أجل إنجاز شيء ما، وقد يكون فكريا كما يكون عضليا "(رشدي فكار، 1980، 280/1). ولا يقال العمل بمعناه الدقيق المتقن إلا لما " كان عن فكر وروية ولهذا قرن بالعلم "(أبو البقاء أيوب الكفوي، 2011م، ص519).

ب– العمل في الاصطلاح قسمان:

عمل "نفعه قاصر على فاعله، كأنواع الذكر من التكبير والتسبيح والتهليل والإستغفار، والمشي إلى المسجد"(ابن رجب الحنبلي، 1422، 66/2) وغيرها من القربات.

وعمل "نفعه متعد كإصلاح ذات البين، وإعانة الرجل على دابته يحمله عليها، والكلمة الطيبة، ويدخل فيها السلام، وتشميت العاطس، وإزالة الأذى عن الطريق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..." (ابن رجب الحنبلي، 1422، 86/2) وغيرها من المعاملات المشروعة.

العمل إذن هو كل ما يقوم به الفرد أو تشترك فيه جماعة من الناس، قصد تحقيق مصلحة معينة، دينية كانت أو دنيوية، ويأخذ أشكالا متنوعة، بحيث "يهدف إلى تقدّم وتطور الظروف الاجتماعيّة لمجتمع ما وخاصّة المجتمع المحروم، بتقديم استشارات نفسيّة، ومساعدات اجتماعيّة" (أحمد مختار عبد الحميد، 2008، ص394).

وقد وضع الإسلام شروطا لقبول العمل:

- أن يكون مطابقا لكتاب الله وسنة رسوله، وكل عمل مخالف فهو رد على صاحبه، ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر: 7].

- أن يكون خالصا لوجه الله تعالى لا يريد به سمعة ولا شهرة قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**﴾[الزمر: 11].

- وأن يكون العمل متقنا: يعني حسن أدائه والإتيان به على الوجه الأكمل، وهي ميزة مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى بها نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾[السجدة: 7].

ثانيا: معنى الاجتماعي لغة واصطلاحا

أ- الاجتماعي لغة: مأخوذ من مادة (ج م ع): "اجتماعيّ [مفرد]: اسم منسوب إلى اجتماع: العَقْد الاجتماعيّ: جملة الاتفاقات الأساسيّة في الحياة الاجتماعيّة وبمقتضاها يضع الإنسانُ نفسَه وقواه تحت إرادة المجتمع.

ب- الاجتماعي اصطلاحا: كلمة منسوبة إلى الاجتماع، وهي من الكلمات المعاصرة التي يقصد بها عيش الإنسان داخل مجتمع تربطه به جملة من الاتفاقات الأساسيّة في الحياة الاجتماعيّة وبمقتضاها يضع الإنسانُ نفسَه وقواه تحت إرادة المجتمع، وقد عرفه الجرجاني بأنه "تقارب الأجسام بعضها من بعض "(الشريف الجرجاني، 1983، ص10).

وقد ظهر ما اصطلح عليه بعلم الاجتماع "خلال القرن الثامن عشر وتحول إلى مادة مقررة للدرس في القرن التاسع عشر وهو علم يعتني بدراسة الجماعات لاستكشاف الطريقة التي تعمل بها، وطبيعة العلاقات بين الأفراد ومدى تأثيرها في حياتهم، ودراسة التنظيمات الاجتماعية لمعرفة طرق تطورها وأسباب ضعفها ودورها في التغيير الاجتماعي"(حسن أيوب، 2008، ص ص 11-13).

وقد أولى الإسلام البناء الاجتماعي اهتماما خاصا، وجعله أساس استخلاف الإنسان في الأرض وعمارتها مما يحقق كرامته وسعادته في الدنيا والآخرة. فهو نموذج للحياة البشرية المستقرة، يحدد العلائق بين أفراد المجتمع ويطبق فيه القانون على القوي والضعيف، ويشجع على التعاون والتآزر، ويحارب الظلم والفساد وسيتبين ذلك من خلال دراستنا لبعض النماذج المستقاة من الكتاب والسنة فيما سيأتي لاحقا.

الفرع الثاني: العمل الاجتماعي تركيبا

إن مصطلح العمل الاجتماعي من المصطلحات الدخيلة على المعاجم اللغوية العربية بحيث لا نجد له تعريفا محددا في المعجم اللغوي العربي، وتم استيراده من خلال المناهج الاجتماعية الغربية التي اهتمت بالجانب الاجتماعي في دراستها، ومع ذلك استطاع اللغويون استيراد هذا المصطلح وترجمته للوقوف على دلالاته وماهيته، من خلال الوقوف على مجموعة من التعريفات التي لها ارتباط بالفعل الاجتماعي. فإذا حاولنا الوقوف على مجمل هذه التعريفات فإننا سنجد أنهم اتفقوا على مدلول التعاون والتكافل وأن أي عمل يعود نفعه على المجتمع فردا وجماعة هو عمل اجتماعي، فرعاية الفقير ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف، وتقديم الرعاية الصحية والنفسية والتربوية للبشرية على اختلاف توجهاتها الدينية واللغوية داخلة في المفهوم الشمولي للعمل الاجتماعي مهما اختلفت الوسائل المسخرة لذلك، أو الجهة الساهرة على هذه الخدمات الاجتماعية سواء حكومية أو غير حكومية، والتي تهدف أساسا إلى تحقيق متطلبات المجتمع الضرورية.

وقد عرف الدكتور علي نملة العمل الاجتماعي فقال: " هو ذلك الأداء المناط بكيانات إدارية، حكومية كانت أم غير حكومية، تعمل على تحقيق الرفاه الاجتماعي (وزارات الشؤون الاجتماعية، والجهات الأخرى الحكومية وغير الحكومية التي تقدم خدمات اجتماعية)، والمقصود بالرفاه الاجتماعي تحقيق متطلبات المجتمع الأساسية "(علي بن إبراهيم النملة، 1434، ص17)، فهو "نسق منظم من الخدمات والمؤسسات الاجتماعية يرمي إلى مساعدة الأفراد والجماعات للوصول إلى مستويات ملائمة

للمعيشة والصحة، كما يهدف إلى قيام علاقات اجتماعية سوية بين الأفراد بتنمية قدراتهم وتحسين الحياة الإنسانية بما يتفق وحاجات المجتمع "(إنج فريجر، 1987، ص249).

المطلب الثاني: مشروعية العمل الاجتماعي

الفرع الأول: مشروعية العمل الاجتماعي من القرآن الكريم

الإنسان اجتماعي بطبعه، يسعى للاجتماع مع أخيه الإنسان والتّعاون معه لاستثمار خيرات الأرض وتطويعها خدمة لمصالحه ومصالح جماعته، كما في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾[الأنعام: 165]، فكلّ إنسانٍ خلقه الله تعالى وله من الميّزات ما ليس للآخر، لذلك كان التفاضل بين الناس في المال والعلم والغنى كما قال تعالى: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا**﴾[الزخرف: 32] أي لما قسم الله تعالى بين النّاس معيشتهم، فجعل منهم أقوياء وضعفاء، وأغنياء وفقراء "فسخر بعضهم لبعض في أشغالهم على حساب دواعي حاجة الحياة، ورفع بذلك بعضهم فوق بعض، وجعل بعضهم محتاجاً إلى بعض ومُسخّراً به. فإذا كانوا بهذه المثابة في تدبير المعيشة الدّنيا، فكذلك الحال في إقامة بعضهم دون بعض للتبليغ فإن ذلك أعظم شؤون البشر"(الطاهر بن عاشور، 1997، 245/25)، إذ لم يكونوا في درجة واحدة من تلك الهبات، وبذلك تنوعت أعمالهم ومكاسبهم، واحتاج بعضهم إلى ما عند البعض الآخر، وأصبح كل فريق منهم متوقفا على خبرة

الآخر ومعونته، مسخرا لخدمته، وذلك لخير المجتمع كله، وخدمة الصالح العام، وهذه هي الحكمة الإلهية من وراء التفاوت الذي جعله الله بين خلقه (المكي الناصري، 1985، 475/5)، وهذا ما يعرف بحسن عمارة الأرض وحسن الاستخلاف اللذين لا يتمَان إلا بالعمل والجد المتبادل المتكامل.

لهذا نجد القرآن يمجد العمل ويرفع قيمته، ومن الأمثلة التطبيقية للعمل الاجتماعي:

– قصة نبي الله موسى رضي الله عنه، الذي سخر جهده البدني، فقدم عملا جليلا للمرأتين اللتين كانتا تنتظران حتى تسقيا الغنم، فسقى لهما دون أن تسألاه ذلك، فقال الحق تعالى وهو يصور هذا المشهد الرائع الجميل: ﴿ **وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۖ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾[القصص: 22-24]. قال الإمام القرطبي (ت671هـ) في معنى تذودان: " تمنعان غنمهما عن الماء لئلا تختلط بغنم الناس خوفا من السقاة الأقوياء"(القرطبي، 2007، 257/16). والشاهد في الآية أنهما "كانتا ضعيفتين وفي حاجة إلى من يتكفل بأمرهما ويسقي لهما، فكان نبي الله موسى عليه السلام صاحب النجدة والمروءة والخلق العظيم فسقى لهما(أبي حيان الأندلسي، 2010، 108/7)، وفي هذا بذل الجهد لإغاثة الملهوفين ونصرة المستضعفين.

– قصة مريم عليها السلام، قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ**﴾[آل عمران: 44]، فقد كانت مريم يتيمة

وكانت في حاجة إلى من يكفلها ويقوم بشؤونها، وهذا ترغيب واضح للتسابق إلى كفالة اليتيم.

وما سيقت هذه الشواهد المشرقة من العمل الاجتماعي في القرآن، إلا لتحثّ المسلمين على الالتزام والتحلي بهذه الأخلاق التكافلية الرحيمة، وهذا نوع من أنواع الترغيب في الإنفاق في سبيل الله، باعتبار الإنفاق وسيلة أساسية للعمل الاجتماعي المحقق للتضامن والتعاون والتكافل بين أفراد المجتمع الإنساني عامة، والمجتمع الإسلامي خاصة.

الفرع الثاني: مشروعية العمل الاجتماعي من السنة النبوية

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة في مجالات البر كلها، حيث كان يقوم بنفسه بإغاثة الملهوف ونجدة المكروب، وكان يسهر صلى الله عليه وسلم على حفظ حياة المسلمين، وشبه قوة الترابط بين المؤمنين بالبناء المتماسك، فعن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وشَبَّكَ بين أصابعه(البخاري، 2446). قال العلامة ابن حجر في شرح الحديث "ثم شبك بين أصابعه": "هو بيان لوجه التشبيه أيضا، أي يشد بعضهم بعضا مثل هذا الشد"(ابن حجر العسقلاني، 1379، 376/10). ونفهم نحن أن البنيان كما يشد بعضه بعضا، قد يهدم بعضه بعضا، فإنه إن ضعف بعض البنيان يؤثر ويضعف بقيته، ولا يبقى للجانب القوي نفْع إن تهدم الجانب الضعيف، وكذلك المسلم مع أخيه إن ترك أخاه يضعف ويسقط، لا تبقى له قيمة في الحياة.

ومن أدلة مشروعية العمل الاجتماعي في السنة النبوية أيضا، ما نجد من حث النبي صلى الله عليه وسلم على التكافل والتعاون الاجتماعي، ومدحه من قام بذلك في كثير من الأحاديث، منها رواية النعمان بن بشير عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (مسلم،4813).

الفرع الثالث: مشروعية العمل الاجتماعي من الإجماع

لقد أجمع المسلمون في كل مكان وزمان على ضرورة التكافل والتضامن، ولزوم القيام بالعمل الاجتماعي المعبر عن دين الأمة ومكانتها الحضارية، الذي يهدف إلى تحقيق الاجتماع والألفة بين الناس، ويجنبهم التفرق والاختلاف، "فعلى هذه الأسس قامت حضارتنا، وبها رأت الدنيا لأول مرة ديناً ينشئ حضارة فلا يتعصب على غيره من الأديان، ولا يطرد غير المؤمنين به من مجال العمل الاجتماعي والمنزلة الاجتماعية" (مصطفى السباعي، 1999، ص133).

المطلب الثالث: أقسام العمل الاجتماعي

إن المتأمل في الواقع الاجتماعي للمسلمين سيجد أن نظام التكافل أخذ أبعادا كثيرة و لم يقتصر فقط على الجوانب المادية المحضة، فقد تعددت ميادينه بحسب احتياجات الخلائق، فقد وسع الكتاب والسنة معانيه إلى كل ما فيه سعي إلى الخير والبر والتي يمكن أن نجملها في المعاني الآتية:

الفرع الأول: التكافل الاجتماعي

إن نظام التكافل الاجتماعي في الاسلام ليس قاصرا على تحقيق الأمور الضرورية بالنسبة للفرد والمجتمع، و ليس مرتكزا على جوانب معينة من البر والصدقة لفئات هشة من المجتمع، بل مفهوم التكافل له معنى أشمل من هذا كله "فهو يشمل تربية عقيدة الفرد وضميره وتكوين شخصيته، وسلوكه الاجتماعي ويشمل ارتباط الأسرة وتنظيمها وتكافلها، ويشمل تنظيم العلاقات الاجتماعية كربط الفرد بالدولة، وربط الدولة بالجماعة، وربط الأسرة بذوي القرابات، وربط الناس بعضهم ببعض. ويشمل أيضا تنظيم المعاملات المالية، والعلاقات الاقتصادية والضوابط الخلقية "(ناصح علوان، 2007، ص ص17-18). إن نظام التكافل في الإسلام غايته اصلاح أحوال الناس وتوفير أسباب العيش الأفضل وتحقيق الإستقرار، واندماج الناس في مجتمعاتهم مطمئنين على عقائدهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ومن هنا يمكن أن نستخلص مفاهيم عدة للتكافل الاجتماعي، ومن هذه المفاهيم ذات البعد الاجتماعي الخيري:

أولا: التكافل الاجتماعي

التكافل الاجتماعي: هو أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا في ما بينهم سواء كانوا أفرادا أو جماعات، حكاما أو محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية، كرعاية اليتيم، أو سلبية كتحريم الإحتكار بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد، حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد

المجتمع الأفضل ودفع الضرر عن أفراده "(ناصح علوان، 2007، ص9).

وقد ذكر سيد قطب رحمه الله أن التكافل يأخذ معنى عاما أوسع وأشمل مما أشارت إليه بعض التعريفات التي اقتصرت على جانب البذل والعطاء فحسب بل هو "نظام كامل بكل ما تحمله الكلمة من معنى هذا النظام قد تدخل في عناصره مدلولات الإحسان والصدقة والبر وما إليها... ولكن هذه بذاتها لا تدخل على حقيقته لأن حقيقته أوسع منها جميعا"(عبد الحميد عيد عوض، 2014، ص17).

وقد عرفه الشيخ محمد أبو زهرة بقوله: هو أن يكون "آحاد الشعب في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلا في مجتمعه يمد الخير، ويدفع الأضرار عن البناء الاجتماعي"(محمد أبو زهرة، 1993، ص14)، وأن يتكفل المجتمع بشؤون كل فرد من أفراده من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والصحية والثقافية...

إن التكافل بمعناه الشامل ليس محصورا في تحقيق المطالب المعيشية فقط للفئات المحرومة إنما هو "التضامن المتبادل بين أفراد المجتمع، وإيمان الأفراد بمسؤولية بعضهم عن بعض ماديا ومعنويا، واعتقادهم أن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه، فإذا أساء كانت إساءته عليه وعلى أخيه، وإذا ما أحسن كان إحسانه لنفسه ولأخيه"(محمد شلتوت، 1962، ص1)، فهو يشمل جميع مناحي الحياة.

ثانيا: التكافل الأخلاقي

وهو أن يتكافل أفراد المجتمع في صيانة الأخلاق العامة، وذلك

بغرس القيم الفاضلة، والأخذ على أيدي المخربين والمفسدين، لأن الحفاظ على مكارم الأخلاق يؤدي إلى الاستقرار والسلم الاجتماعي، أما إذا فقد هذا النوع من التكافل وأهمل فمصير المجتمع الانكسار والقوط والدمار، لذلك "اعتبر الاسلام المجتمع مسؤولا عن صيانة الأخلاق العامة لأن بها حفظه من الفوضى والفساد والانحلال، وبذلك وجب أن ينكر المجتمع على مرتكبي المنكرات الخلقية وغيرها، ولا يعتبر الاسلام تدخلا منه في الحريات الشخصية لأن الفساد والمنكر يأتي على بنيان الأمة." (مصطفى السباعي، 2010، ص191)، ولهذا جعل الشارع حماية الجانب الأخلاقي مسؤولية ملقاة على عاتق الجميع، وليست منوطة بفئة معينة، لأن صلاحها صلاح المجتمع وفسادها فساد للمجتمع، ولهذه الغاية أرسل الله عز وجل رسوله مصلحا لأحوال الناس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ»(الإمام أحمد، 8729). فعلى المجتمع الناضج أن يقوم برقابة "نفسية أساسها الضمير واالخلق الفاضل، وقوامها التمسك بمبادئ الدين وتعاليمه، ومراقبة الله تعالى والشعور بالمسؤولية عن مستقبل الأمة ووجود رأي عام فاضل يساعد على الخير ويدفع الشر، فإن المجتمع في مظهره يكون بنية صالحة، تختفي فيها الرذيلة وتترعرع في أغصانها الفضيلة، لأن الرأي العام رقابة نفسية للمجتمع تدفع الصالح إلى إعلان الخير وفعله، وتدعو الفاسد إلى الإنزواء والاختفاء، وحين يكون الرأي العام فاضلا ناضجا، يطهر المجتمع ويتهذب أفراده، وحين يفسد الرأي العام يسقط المجتمع ويتحلل أفراده وتختفي الفضيلة وترفع الرذيلة رأسها"(عبد العال أحمد ، 1997، ص18).

ثالثا: التكافل الجنائي

يقوم على "بناء المجتمع الفاضل الذي تسوده المحبة والإخاء، وتتعاون فيه كل القوى بحيث لا يطغى فريق على فريق، ويكون صالحا نظيفا، فلا تظهر فيه الرذائل وتستتر فيه الجرائم، بل تنمحي منه أصلا، وتبدل فيه النصيحة لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم، ويتم الإئتلاف بين الحقوق والواجبات وبين مصالح الناس بعضهم مع بعض فلا تتضارب الحقوق ولا تتجاوز الحدود ولا يعتدي أحد على أحد في نفس أو عرض أو مال، بل يضع المجتمع أساليبه ونظم حياته "(عبد العال أحمد، 1997، ص11)، ويكون أكبر رادع في تطبيق القانون ويحقق الأمن الاجتماعي الذي "ينفي الخوف والفزع عن الإنسان فردا أو جماعة، في سائر ميادين العمران الدنيوي بل وأيضا في المعاد الأخروي فيما وراء هذه الدنيا، لهذه الحكمة كان الأمن في الإسلام اجتماعيا واستحال أن تقف آفاقه عند حدود الفرد، دون الاجتماع الشامل للأفراد ضمن الجماعة... ذلك أن الإنسان كفرد مدني واجتماعي بطبعه وبحكم حاجاته فأمنه الحقيقي لا يستقيم ولا يتحقق إلا إذا عمت آفاقه الاجتماع والجماعة والعمران"(محمد عمارة، 1998، ص ص12-13).

فالغرض من التكافل الاجتماعي حفظ المجتمع من الجرائم الاجتماعية الخطيرة لإيجاد التوازن في المجتمع، وترسيخ دعائم التضامن والتكافل، وإزالة الفوارق بين أبناء الوطن الواحد، والقضاء على كل أسباب الحقد والكراهية التي تكون عادة بين الفقراء والأغنياء.

وكان الهدف الأسمى من هذا النوع من التكافل حماية مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية ألا وهو النفس، وذلك بتطبيق الحدود الشرعية لضمان حياة الإنسان واستمراريته فقد حرمَت الشريعة الإسلامية الاعتداء على الأنفس بغير حق واعتبرت هذا الفعل من أكبر الكبائر على ظهر الأرض، بعد الكفر بالله، وجاء ذلك التحريم في آيات كثيرة وأحاديث عديدة ومتنوعة نذكر منها:

قوله تعالى:﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ**﴾ [المائدة: 47]. وقوله أيضا: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: 178].

رابعا: التكافل المعيشي

التكافل المعيشي يتعلق بكفالة المجتمع لمعيشة فئة هشة، معيشة كريمة تليق بكرامة الإنسان، والعمل على توفير حاجات المحرومين ومساعدتهم بكل ما يحتاجونه من "طعام وغذاء وكساء ومسكن وأموال وعقارات إلى غير ذلك مما لا يستغني عنه إنسان في حياته ومعيشته، فلا يصح في شريعة الإسلام، ولا يجوز في عرف الشهامة و المروءة أن يرى المسلم قريبه أو جاره، أو من يعلم بجوعه وحاجته يتلوى في الجوع و الحرمان ولا يقدم له معونة من مال، أو مساعدة من طعام أو كساء"(عبد الحميد عيد عوض، 2014م، ص27).

"فالإسلام يفرض على الجماعة المسلمة أن يكفل بعضها بعضا

بحيث تكون مسؤولية تضامنية في المجتمع المسلم، حتى يكتفي أهلها ولا يجوز أن يكون هناك فضول أموال ولا توفر طعاما لكل جائع، وكسوة لكل عار، ومأوى لكل مشرد، ودواء لكل محتاج، وتعليم لكل جاهل"(يوسف القرضاوي ، 2009، ص19).

وقد ألزمت الشريعة الإسلامية إنفاق الناس على ذوي الحاجات من الفقراء، قال ابن حزم الأندلسي (ت 456هـ): "وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم، ولا في سائر أموال المسلمين بهم، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف، وبمسكن يسكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة "(ابن حزم الأندلسي، 2003، 156/6).

وقد عزز الإسلام التكافل المعيشي بوسائل عديدة تعمل على تحقيقه في المجتمع الإسلامي، كي لا يكون المسلم عالة على غيره، ومن أهم هذه الوسائل: فريضة الزكاة، والوقف، والهبة، والوصية، والمنيحة... فجعل الله عز وجل بعضها إلزاميا والبعض الآخر قربة يتقرب العبد بها إلى ربه لينال الدرجات، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: 60].

خامسا: التكافل العبادي

لقد خلق الله تعالى الإنسان، وجعل من مقاصد الشريعة الإسلامية

المحافظة على دينه الذي هو أساس وجود هذا المخلوق، وبه تستقيم حياته الدنيوية والأخروية، وشرع له مجموعة من العبادات، "لتهذيب النفوس وتربية روح المساواة وروح الاجتماع الذي لا اعتداء فيه، وإذا كانت العبادات لا تحقق تلك الأهداف التهذيبية فهي ليست عبادة خالصة يقبلها الله تعالى، فالحج تعارف اجتماعي عام يجعل المؤمنين يتعارفون ويتكافلون حيث ما كانت أماكنهم، ومهما تتباعد أقطارهم، فهو ليس توجيها للتكافل الاجتماعي في داخل الإقليم الواحد فقط، ولكنه توجيه لهذا التكافل في عموم الأقطار الإسلامية..." (محمد أبو زهرة، 1993، ص ص13-14)، ثم هكذا نجد كل العبادات الإسلامية تتجه إلى تهذيب ضمير المؤمن ليكون متكافلا مع مجتمعه لتحقيق غايته الفضلى.

وليس كما يظن كثير من الناس أن هذه العبادة التي أوجبها الشرع الحنيف، "قاصرة على الصلوات والأذكار التي يقف فيها المسلم موقف الخضوع والخشوع والمناجات لله تعالى، ولكن المتأمل لحقيقة العبادة يجد لها مفهوما آخر غير ما يفهمه بعض الناس، وهذا المفهوم يدخل فيه كل عمل صالح يفعله الإنسان خالصا لوجه الله الكريم، وكل خير يفيد الفرد و المجتمع يعمله المرء امتثالا لأمر ربه، وابتغاء مرضاته "(ناصح علوان، 2007، ص ص35-36)، فالمسلم دائما يسخر كل أعماله في سبيل خدمة نفسه وأسرته ومجتمعه لينال أجر ربه. ويحرص كل الحرص على آداء الفرائض بكل اتقان ويجتهد في السنن والنوافل لتزكية نفسه وتحصيل الإيمان الذي به يرتقي العبد إلى درجات عليا من الصلاح، فهناك "شعائر وطاعات يجب أن يقوم بها المجتمع ويحافظ عليها بمجموعه، وتسمى بفروض الكفاية في العبادات،

كصلاة الجنازة، فإن الميت إذا مات وجب على المجتمع تكفينه والصلاة عليه ودفنه، فإن لم يقم بذلك أحد أثم المجتمع كله، ومثل ذلك الآذان لأداء الصلاة، وإقامة صلاة الجماعة"(مصطفى السباعي، 2010، ص193)، فتكافل المجتمع وحرصه في إقامة هذه الشعائر الدينية على اختلاف وجوبها، تحقق سعادة روحية بين أفراده، وتضامنا بين مكوناته.

سادسا: التكافل الحضاري(الأدبي والعلمي)

ومعناه أن "يتكافل الناس فيما بينهم على اختلاف معتقداتهم الدينية حول قضايا كبرى تخدم الانسانية، وتساهم في تطور الحياة الاجتماعية نحو الأفضل. وتحقق السعادة للانسان في جميع المجالات (السياسية- الاقتصادية- العلمية- الأدبية) "(هاشم الموسوي، 1992، ص73)، فتتشارك الأمم والشعوب قضايا وهموم ومشاكل بعضها البعض، حيث تحاول تشخيص أسبابها وتداعياتها وانعكاساتها على المجتمع من الناحية الفكرية ووضع اليات للقضاء عليها والحد من خطورتها. فيحس الفرد داخل المجتمع بمسؤوليته العظمى، ويشعر باحترام الآخرين وحبه لهم، والتعاون معهم في جميع المجالات، فيفرح لفرحهم، ويأسى لمصابهم ويتمنى لهم الخير ويكره الشر أن يترل بهم، فلقد حث الإسلام على مشاركة الناس في أحاسيسهم وشعورهم سواء كان ذلك في الأفراح أو الأحزان... ففي الأفراح دعا الإسلام إلى مشاركة المسلمين في أفراحهم، كما في النكاح مثلا أوجب إجابة دعوة الوليمة وبين أن عدم تلبية الدعوة فيها عصيان لله ورسوله. وفي الأحزان حث الإسلام على مشاركة المسلمين في أحزانهم وآلامهم،"(عبد الفتاح عاشور، 1979، ص357)، وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك

بتعبير دقيق فقال: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم، وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى» (البخاري، 5688).

سابعا: التكافل الاقتصادي

لقد أولى الإسلام عناية خاصة بالجانب الاقتصادي للمجتمع الإسلامي، لكي ينعم فيه جميع المواطنين بخيرات البلاد، ولا تظهر الهوة بين الفقير والغني، حيث شجع على التجارة والسعي بحثا عن الرزق، ونهى عن الاحتكار والغش والتلاعب بالأسعار في المعاملات المادية، وعمل على حفظ ثروات الدولة من الضياع والتبذير، ولتحقيق ذلك سن مجموعة من القوانين تلزم الفرد والدولة الإلتزام بها لتحقيق رخاء اقتصادي يكون فيه أبناء الوطن الواحد سواسية في الاستفادة من خيراته حيث أوجب على الدولة أن "تهيئ للإنسان فرصة العمل، والتدرب عليه، فإذا كان العمل يحتاج إلى تعليم تعلمه، ثم تهيئ لكل شخص من العمل ما يناسبه، وأن تعينهم على تسيير فرص العمل، فالوسيلة الأنجع للتكافل ألا وهي توفير العمل للناس" (يوسف القرضاوي ، 2009، ص24)، أما كفالة غير القادر على العمل، كالضرير والمقعد والمرأة العجوز والشيخ الكبير واليتيم... تجب على المجتمع والدولة.

إن التكافل الاقتصادي هو أحد الدعائم القوية المساهمة في بناء العدالة الاجتماعية وهو يمثل جانبا مهما من الإشتراكية الإسلامية، "فقد استطاع أن يوجه السياسة المالية في الإسلام توجيها بلغ فيه مبلغا لم يبلغه أحد، بالنور الذي غرسه في القلوب وبالبصيرة الخيرة التي يتناول بها الأمور،

على أساس من التراحم والتآلف الأخوي والإيثار على النفس في سبيل النفع العام للجماعة من غير طغيان على حرية الفرد، ولا إدلال ولا انكار لذاتيته" (عبد العال أحمد، 1997، ص24)، فهو منظومة متكاملة قائمة على اعتبارات إنسانية وأخلاقية واجتماعية، غايتها إصلاح أحوال الناس ورعاية حقوقهم، مع تحقيق إستقرارهم وسعادتهم.

الفرع الثاني: العمل الخيري

المراد بالعمل الخيري النفع المادي أو المعنوي الذي يقدمه الإنسان إلى غيره، من دون أن يأخذ عليه مقابلا ماديا، ليحقق هدفا خاصا له أكبر من المقابل المادي، وقد يكون عند بعض الناس الحصول على الثناء والشهرة أو نحو ذلك من أعراض الدنيا، والمؤمن يفعل ذلك لأغراض تتعلق بالآخرة، رجاء الثواب من الله والدخول في جنات النعيم، فضلا عما يناله في الحياة من بركة وحياة طيبة، وسكينة نفسية، وسعادة روحية لا تقدر بثمن عند أهلها"(يوسف القرضاوي، 2008، ص21). فمفهوم الخير يلزم الأفراد القيام بمسؤولياتهم تجاه من هم في حاجة إلى الدعم والمساعدة دون الحصول على مقابل مادي للمتبرع لا عاجلا ولا آجلا، إذ الغاية فقط هي ابتغاء الثواب عند الله عبر الإسهام الفعال في مواجهة المشكلات والأزمات التي يعاني منها المجتمع "(إبراهيم البيومي، 2010، ص119)، لأن الإسلام أوصى بالمعسرين حيث قال: ﴿ **وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: 279].

وقد عرف العلامة الطاهر بن عاشور (ت 1339هـ) العمل الخيري

بأنه "كل ما يبذله المسلم من مال أو جهد على أساس المواساة بين أفراد الأمة الخادمة لمعنى الأخوة، فهذه مصلحة حاجية جليلة، وأثر خلق اسلامي جميل، فبها حصلت مساعدة المعوزين وإغناء المقترين، وإقامة الجم من مصالح المسلمين"(الطاهر بن عاشور، 2004، 505/3). فالمجتمع الإسلامي مجتمع إنساني مأمور بتقديم الخير لنفسه ولغيره على أساس من العدل والرحمة والوسطية، وذلك لتحقيق المقصد الأسمى من عمارته للأرض، وخلاصة القول أن العمل الخيري مسؤولية ملقاة على جميع أفراد الأمة تجاه المحتاجين والمعوزين لتحقيق حاجياتهم، فتتقوى روابط الألفة بين أفراد المجتمع.

الفرع الثالث: العمل الإحساني

حض الإسلام على الإحسان وجعله عاما يشمل المؤمن والكافر، ويستوعب المجتمع البشري كافة، دون تمييز لعرق أو دين أو طائفة معينة، فالإنسان في عقيدة الإسلام مكرم من حيث هو إنسان، وقد استهدفت المنظومة التربوية الإسلامية "تهذيب نفس الإنسان بما يجعلها سمحة بالعطاء، سخية بالإحسان، فياضة بالرحمة والشفقة والحنان. وتوسل الإسلام إلى ذلك بوسائل تربوية ناجعة، من شانها معالجة التكافل في عمقه النفسي بما يخلق الإستعداد القلبي، ويشحد العزائم نحو عمل الخير، ويسمو به إلى قمم العمل الإنساني النقي ويعمق الشعور بالرحمة"(عبد الكبير العلوي ، 1999م، ص27).

وقد حرص القرآن الكريم في آيات كثيرة على التذكير بالعمل

الإحساني وترسيخ خلق الإيثار وتطهير النفس من البخل والشح والرياء، وحثها على البذل والإنفاق، والإقتصاد والتوسط في النفقات، لتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولا شك أن شيوع "الإحسان والتعاون والإيخاء بين أفراد المجتمع سيقضي على عوامل الجفاء والحقد والقطيعة والبغضاء، ويعمر القلوب بالحب والود والشفقة، مما يجعل الحياة طيبة في هذا المجتمع الطيب، لأنها تقوم على الود والرحمة لا على البغض والقسوة"(عبد الكريم زيدان، 2002، ص109)، ذلك أن المجتمع الذي يشيع فيه الإحسان يحس أفراده بالأمن والإطمئنان والإستقرار.

الفرع الرابع: العمل التطوعي

العمل التطوعي هو ذلك المجهود القائم على مهارة أو خبرة معينة، والذي يبذل عن رغبة واختيار بغرض آداء واجب اجتماعي دون توقع جزاء مالي بالضرورة، والفعل التطوعي في إطاره الاجتماعي والثقافي يشكل عاملا رئيسيا للاستثمار الاجتماعي في الطاقات البشرية للمجتمع من جهة، والإلتزام بمساعدة الغير داخل النظام الاجتماعي الواحد من جهة أخرى، وهذا من خلال التمثيل الرمزي للفكر والقيم والأهداف الاجتماعية للأفراد حيث يعتبر التعاون ميزة أساسية في إدارة العمل التطوعي وبالتالي فهو يحدد كفاءة وفعالية المتطوع باعتبار أن العمل التطوعي جهاز مساعد لباقي أجهزة المجتمع"(عديلة أمال، 2011، ص11). ويشمل هذا المعنى "كل صور الجهد المالي أو الجسدي أو الفكري، الذي يبذله الشخص من أجل مجتمعه بكامل إرادته أي طائعا مختارا، لتحقيق الأهداف الإنسانية، دون انتظار أي مقابل مادي أو معنوي"(أحمد الجمل، 2009، ص17).

فالعمل التطوعي يشمل كل تنظيمات المجتمع المدني "من جمعيات ونقابات وأحزاب وأندية وتعاونيات، أي كل ما هو غير حكومي وكل ما هو غير عائلي"(سعد الدين إبراهيم، 1998، ص5)، وهو إذن شبكة العلاقات الاجتماعية المساهمة في الاستقرار المجتمعي، التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة لتحقيق مصالح أفرادها، ملتزمة في ذلك بمجموعة من القيم الاجتماعية، "كالمؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في سياستها المختلفة على تقليص سلطة الدولة لتحقق أغراض متعددة منها أغراض سياسية، كالمشاركة في صنع القرار على المستوى القومي، ومثال ذلك الأحزاب السياسية، ومنها أغراض نقابية، كالدفاع عن المصالح الاقتصادية لأعضاء النقابة، ومن أغراض ثقافية وفقا لاتجاهات أعضاء كل جمعية، ومنها أغراض اجتماعية للإسهام في العمل الاجتماعي وتحقيق التنمية المستدامة "(واصف منصور، 2007، ص15)، ويتم ذلك من خلال هيئات منظمة تتميز بالتنظيم والتخصص، وتنوع أساليب عملها وفقا للأهداف المخطط لها سلفا، وهذا ما يساهم في نجاعتها واستمراريتها.

والملاحظ أن العمل التطوعي أصبح في تنامي مستمر، و أخذ أشكالا متعددة بحسب حاجات كل فئة وكل منطقة، مما انعكس إيجابا على الحياة الاجتماعية لشريحة كبرى من المجتمع. حيث أصبحت الدولة تشجع على هذا النوع من العمل نظرا لفاعليته، ولكونه أيضا عملا منظما ومكملا لمهام الدولة الحديثة، كما أنه يخفف من تدخلاتها في النسيج الاجتماعي.

المطلب الرابع: خصائص العمل الاجتماعي

الفرع الأول: الشمول

العمل الاجتماعي عمل خيري احساني نفعه عام، موجه إلى كل محتاج سواء كان مسلم أم غير مسلم، قريب أم بعيد، تربطنا به مصلحة أو لا تربطنا به مصلحة، بحيث "يقدم المسلم الخير والعون لكل من هو في حاجة إليه، سواء كان قريبا أم بعيدا صديقا أم عدوا مسلما أم كافرا، إنسانا أم حيوانا، فالمسلم لا يقتصر خيره وبره على أقاربه وذوي رحمه أو أهل بلده، بل يرى الإسلام أن للغرباء والأباعد حقوقا أيضا، بحكم اسلامهم إن كانوا مسلمين وبحكم إنسانيتهم إن لم يكونوا مسلمين"(يوسف القرضاوي، 2008، ص36)، فلا يقتصر إحسان المسلم على أقاربه وأصحابه ويحرم خصومه وأعداءه ممن هم في حاجة ماسة إلى الرحمة والشفقة والخير، ولا يكف المسلم خيره وبره عمن يخالفه في الدين، بحيث لا يقدم العون إلا لمسلم كأن الكافر لا يستحق الرحمة والشفقة.

الفرع الثاني: الاستمرارية

فمن خصائص العمل الاجتماعي الخيري التطوعي أن لا يكون خلال فترة معينة ويتم انقطاعه بعد ذلك، بل هو عمل مستمر لا يمكن الاستغناء عنه، لتحقيق الرفاه الاجتماعي لفئة عريضة من المجتمع، ويمكن أن نميز في العمل الاجتماعي المستمر بين ثلاثة أصناف رئيسية وهي:

أ- **فريضة دورية**: تأتي سنويا وفي فترات محددة وفق تعاليم الشرع الحنيف والمسلم مطالب بإخراج حق الله في ماله عند حلول الحول، سواء كان النصاب نقدا مثل عروض التجارة، أو عينا مثل زكاة الزروع، ومنه

"فإن فعل الخير عند المسلم إما فريضة دورية يلزمه آداؤها بحكم إيمانه واسلامه مثل زكاة المال الواجبة في كل حول أو عند كل حصاد، أو كزكاة الفطر الواجبة عند مقدم كل عيد للفطر من رمضان"(يوسف القرضاوي، 2008، ص41).

ب- فريضة غير دورية: وتجب بحسب المسؤوليات الملقاة على الإنسان مثل الحقوق المالية للموصى عليهم شرعا من الأقارب والضعفاء إذا لم يكن لهم من يعيلهم، فالضرورة هنا تستدعي الوجوب في القيام بأمورهم، مثل: نفقة المعسر، لما توجبه صلة الرحم، وحقوق أولي القربى، ومثل إطعام الجار لجاره إذا جاع وهو بجانبه، ومثل قرى الضيف إذا لم يكن له مكان يترل به، أو لم يكن لديه مال وهو غريب الدار"(يوسف القرضاوي، 2008، ص41).

ج- التطوع لوجه الله: إن فعل الخير مجاله واسع حبذ إليه الشرع الحنيف وجعله من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه في غير وجوب ولا إلزام فينال مرتبة عظيمة في الجنة، قال تعالى: ﴿ **فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ**﴾ [البقرة: 183].

المطلب الخامس: مسؤولية العمل الاجتماعي ومقاصده

الفرع الأول: مسؤولية العمل الاجتماعي

إن مسؤولية التكافل الاجتماعي ليس كما يعتقد البعض أنها من الواجبات التي تتحملها الدولة بمفردها، بل هي من الأمور التي تشترك فيها جميع مكونات المجتمع المدني على اختلاف توجهاتهم العرقية والمذهبية، فلقد

جعلت الشريعة الإسلامية الاهتمام بالتكافل الاجتماعي مسؤولية يتحملها كل مسلم على حسب استطاعته وتخصصه، ويؤديها بكل أمانة، فالحاكم مسؤول عن رعيته، والأب مسؤول عن رعاية أسرته، والجار مسؤول عن جاره، والقوي مسؤول عن حماية الضعيف، والغني مسؤول عن إطعام الفقير، والعالم مسؤول عن تعليم الجاهل، والطبيب مسؤول عن علاج المرضى... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته» (البخاري،893)، فلا يمكن إغفال دور المجتمع الذي هو بمثابة " العضو في الجسم، وعليه أن يتكافل مع الآخرين ويتعاطف معهم، ويشعر بآلامهم، ويشاركهم مشاعرهم في السراء والضراء، وفي الفقر والغنى، ويهتم بأمورهم، ويسعى لقضاء حوائجهم، وقد أمر القرآن الكريم المسلمين بأن يشعروا بهذا الشعور ويتعاطفوا ويتكافلوا ويهتم بعضهم بشؤون بعضهم الآخر"(هاشم موسوي، 1992، ص86)، قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: 3]

الفرع الثاني: مقاصد العمل الاجتماعي

إن عمل الخير وتثبيته يعد من أهداف الرسالة المحمدية ومن مقاصد الشريعة الإسلامية وإن لم يذكره الأصوليون القدامى صراحة في المقاصد الضرورية، فهو من أسس الشريعة وجوهرها لما فيه من مصالح عظمى للفرد والجماعة، مما يعزز وحدتها وازدهارها، لذلك جاءت النصوص صريحة

مرغبة فيه وداعمة له بشتى الوسائل. ولا بد من التوكيد على أن من أهم المقاصد العظمى للعمل الاجتماعي، تهذيب النفس الإنسانية وتعويدها على قيم المحبة والرحمة والتعاون والإحسان بين العباد حتى تسمو بالعطاء وينغرس فيها الإحساس بالمسؤولية الفردية والجماعية، وتتطهر من المن والأذى والرياء والسمعة والشح والطمع وتخلص العمل لوجه الله تعالى، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: 164]، بحيث يسخر الإنسان جميع حركاته وسكناته لله تعالى فيكون إنفاقه وبذله نابع من واجب إيماني فيأخذ على ذلك الأجر والثواب، ويعمر الأرض فيكون خليفة فيها يقوم بشؤونها المادية والمعنوية بما يضمن سعادة البشرية دون تمييز للون أو دين أو عرق، ويحافظ على أمانة الاستخلاف التي وعد الله الإنسان بها منذ خلق السماوات والأرض، وتتحقق الخيرية المنشودة التي امتدح الله بها الأمة الإسلامية.

خاتمة

إن اهتمام الإسلام بالعمل الاجتماعي يؤكد أن الإصلاح الاجتماعي منهج حياة، لا يستغني عنه أي مجتمع، والحياة الإسلامية في حاجة ماسة إليه، بوصفه ضرورة مُلحّة لإقامة الحياة السعيدة في كل مجتمع، لهذا، وجب أن تتجه الدراسات نحو إبراز فعالية النظام الاجتماعي الإسلامي لأنه من ركائز النهضة التحضر.

ومن خلال رحلتي مع هذا البحث، أستطيع – بفضل الله تعالى – أن أخرج منه بهذه الخاتمة، التي تتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت

إليها، وأذكرها في الآتي:

– العمل الاجتماعي مصطلح حديث لكن جذوره قديمة في التراث الإسلامي، حيث نجده تارة بمعنى الإحسان، وتارة بمعنى التكافل، وتارة أخرى يستخدم في جميع أعمال البر...

– العمل الاجتماعي أخذ أشكالا متعددة، لضمان الحياة الاجتماعية السعيدة لكل مكونات المجتمع، وليس مقتصرا على الجوانب المادية فقط.

– ضرورة ترسيخ قيم العمل الاجتماعي في عقيدة المسلمين؛ لتحفيز الهمم، وإيقاظ الضمائر، ونشر القيم الاجتماعية، حتى يصبح الفعل الاجتماعي جليا في سلوكياتهم.

– بيان الآثار السلبية لتخلي المسلمين عن أدوارهم الاجتماعية نتيجة عدم الالتزام بتعاليم رسالة الإسلام السمحة.

– تقديم تصورات وآراء عن كيفية توظيف العمل الاجتماعي لخدمة قضايا الإنسان، وعمارة الأرض على الوجه الذي يحفظ للمجتمع كرامته، ويصونه من جميع الآفات، التي تهدد وحدته واستقراره.

– يجب ترشيد آليات العمل الاجتماعي وتنويع تطبيقاتها المتجددة بتجدد الزمان والمكان من خلال تنويع المظاهر العملية في الجانبين: الإلزامي والتطوعي بين جميع الفئات الاجتماعية، وتأكيد أهميتها التنموية والحضارية.

– تأطير الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية، وتعزيز أدوارها التنموية في حياتنا الخاصة والعامة، لتشمل كل مناحي الحياة الاجتماعية

والثقافية والاقتصادية، وغير ذلك من أوجه النفع ومجالات الخدمة الاجتماعية.

- إحياء ما اندثر من تطبيقات مؤسسات العمل الاجتماعي في الحضارة الإسلامية، وذلك بإبرازها في بحوث مستقلة، تمكن الباحثين من الاطلاع على الإنجازات الرائعة لأسلافنا في الخدمات الاجتماعية المتعددة.

قائمة المراجع

- أحمد عبد عوض(2008)، التكافل الاجتماعي في الاسلام، ط1، ألفا للنشر والتوزيع، القاهرة.
- إبراهيم البيومي غانم (2010)، مقاصد العمل الخيري والأصول الإسلامية للمشاركة الاجتماعية، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
- أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (2007)، الجامع لأحكام القرآن، ضبطه محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة.
- أحمد محمد عبد العظيم الجمل (2009)، العمل التطوعي في ميزان الإسلام، ط1، دار السلام، القاهرة.
- أبو البقاء أيوب الكفوي (2011)، الكليات، تحقيق محمد المصري وعدنان درويش، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن رجب الحنبلي(1422)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المحقق: شعيب الأرناؤوط، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(1997)، معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
- إنج فريجر، معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية (1987)، ترجمة أحمد زكي بدوي،

ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة.

- ابن فارس(1991)، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت–لبنان.

– أحمد مختار عبد الحميد (2008)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1،عالم الكتب، القاهرة.

– حميد ناصر الزري، مفهوم العمل في الاسلام في التربية الاسلامية (1998)، دراسة ميدانية في منطقة الخليج، ط1، منشورات دار الثقافة والإعلام،الشارقة.

– حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام(2008)، ط4،دار السلام للطباعة،، القاهرة.

– الخليل ابن أحمد الفراهيدي البصري د.ت، كتاب العين، المحقق مهدي مخزومي، إبراهيم السامورائي، دار مكتبة الهلال، بيروت.

– رشدي فكار(1980)، علم الاجتماع معجم موسوعي عالمي، دار النشر العالمية، باريس.

– السيد هاشم الموسوي(1992)، النظام الاجتماعي في الإسلام، ط1، دار الصفوة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

– سعد الدين إبراهيم، الدولة(1998)، المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي، مركز خالدون للدراسات الإنمائية– دار الأمين للنشر، القاهرة.

– سيد قطب(1993)، العدالة الاجتماعية في الاسلام، ط13،دار الشروق، القاهرة.

– الشريف الجرجاني(1983)، كتاب التعريفات، المحقق مهدي ضبطه وصححه مجموعة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

–عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ(1996)، إسلامية المعرفة، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتبة المعهد بالقاهرة.

– عبد الحميد عيد عوض(2014)، أسس النظام الاجتماعي في الاسلام، الإصدار 83، ط1، روافد، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الكويت.

– علي بن إبراهيم النملة، العمل الاجتماعي والخيري(1434)، التنظيم–التحديات–المواجهة، ط2، مكتبة الملك فهد للنشر، جدة.

– عديلة أمال، الفعل التطوعي في ظل التغير الاجتماعي في الجزائر(2011)، بحث ماجستير في علم الاجتماع، جامعة قاصدي مرباح بورقلة، كلية الآداب.

– عبد العال أحمد عبد العال(1997)، التكافل الاجتماعي في الاسلام، الشركة العربية للنشر والتوزيع.

– عبد الكبير العلوي المدغري(1999)، التكافل الاجتماعي في الاسلام، ط1، منشورات وزارة الأوقاف المغربية.

– عبد الكريم زيدان (2002)، أصول الدعوة، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان.

– عبد العزيز الخياط(1982)، المجتمع المتكافل في الإسلام، مؤسسة الرسالة، عمان–الأردن.

– علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي أبو محمد عبد الغفار(2003)، المحلى، تحقيق سليمان البنداري، ط3، دار الكتب العلمية – بيروت..

– عبد الفتاح عاشور(1979)، منهج القرآن في تربية المجتمع، مكتبة الخانجي، مصر.

– محمد الطاهر بن عاشور(2004)، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية.

– محمد الحبيب التجكاني(1990)، الإحسان الإلزامي في الإسلام وتطبيقاته في المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

– محمد شلتوت(1962)، الإسلام والتكافل الاجتماعي، ط1،مطبعة الأزهر، القاهرة.

– محمد عمارة(1998)، الإسلام والأمن الاجتماعي، ط1، دار الشروق، القاهرة.

– محمد فاروق النبهان(1985)، الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الاسلامي، ط3، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت.

– محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي(2010)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.

– محمد الطاهر بن عاشور(1997)، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

– محمد المكي الناصري(1985)، التيسير في أحاديث التفسير، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان.

– محمد متولي الشعراوي(1997)، تفسير الشعراوي "الخواطر"، ط1، طابع أخبار اليوم، القاهرة.

– مصطفى السباعي(2010)، التكافل الاجتماعي في الاسلام، ط1، دار ابن حزم، بيروت–لبنان.

– محمد أبو زهرة(1993)، التكافل الاجتماعي، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة.

- مصطفى السباعي(1999)، مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، ط1 دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت.
- محمد فؤاد عبد الباقي(1364)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري(2009)، موسوعة الفقه الإسلامي، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.
- ناصح علوان (2007)، التكافل الاجتماعي في الإسلام، ط7، دار السلام، القاهرة،
- واصف منصور(2007)، المجتمع المدني الضرورات التحديات والمحاذير، ط1، دار النشر المغربية، الدار البيضاء.
- يوسف القرضاوي (2009)، التكافل الاجتماعي في ضوء الشريعة، مكتبة وهبة، القاهرة.
- يوسف القرضاوي(2008)، أصول العمل الخيري في الإسلام، ط2، دار الشروق، القاهرة.